الحلقة 6

بشر بن يوسف الرومي (1/1)

إعداد: مازن خرابة

يعد العمل الخيري والإحسان للآخرين سمة بارزة في الكويت، فمنذ القدم جبل أهل الكويت على حب الخير و حرصوا على الإحسان للآخرين، لمساعدة المحتاجين، وتقرباً إلى الله عز وجل. فكانوا يفرحون بحب الناس، ودعواهم لهم بالخير والفلاح.

فقدم هؤلاء نماذج رائعة في الأعمال الخيرية داخل الكويت وخارجها أبرزها عمارة العديد من المساجد ، وكفالة الأيتام ، وتأسيس عدد من المدارس الإسلامية.

فأهل الخير والإحسان في الكويت أكثر من أن نحصيهم ونعدهم، وبخاصة في الشدائد والمحن التي ظهر فيها معدنهم الأصيل، إذ تنافسوا في عمل الخير و بذل المعروف، فأنفقوا على الفقراء والمساكين وذوي القربى وأبناء السبيل، وبنوا المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات ودور الأيتام وحفروا الآبار، فملأت سيرهم العطرة الآفاق، ونحن في «الوسط» سنقوم بنشر سير بعض المحسنين العطرة عبر هذا الشهر الفضيل في حلقات يومية، اقتباساً من كتاب « محسنون من بلدي».

ويعد الكتاب الذي أصدره بيت الزكاة على عدة أجزاء لمحة وفاء، وتوثيقاً لسير المحسنين وتذكرة بأعمالهم الخيرة، وتخليداً لذكراهم العطرة. وسنتوقف في هذه الحلقة مع سيرة بشر بن يوسف الرومي.

- أسرته من الأسر الكويتية المعروفة التي لها سابق أفضال حميدة وخصال مجيدة
- حرص على تلقي العلم وتعليم بعض أولاده وأبناء عائلته الفقه على مذهب الإمام مالك
- كان حريصاً على الإحسان إلى الناس وعدم الإساءة إليهم أو إيذائهم

فريج الرومي

المولد والنشأة

هو بشر بن يوسف بن أحمد بن محمد بن صالح بن بشر بن محمد الرومي، ولد في محلة (فريج) الرومي بمنطقة الشرق في الكويت عام 1257ه الموافق عام م1841.

ينتمي إلى أسرة عريقة، ينتهي نسبها إلى بطن الشملان ثم السلقا ثم الجبل ثم العمارات، ثم البشر من قبيلة عنزة، وقد ارتبطت هذه الأسرة ارتباطًا وثيقا بالبحر، من خلال عملها في مهنة الغوص على اللؤلؤ الذي كان مصدر رزقها الرئيس.

وكانت أسرة الرومي قد نزحت مع أسرتي الصباح والخليفة، وأسر أخرى (فيما يسمى بالعتوب) من منطقة اليمامة بالمملكة العربية السعودية الشقيقة، حيث كانوا يسكنون في «الهدار» من منطقة الأفلاج في نجد، وكبير أسرة آل رومي هو محمد الدراج، لأنه كان يسحب عل ى م درج بعد إصابته بقلة مدفع، وكان قاضي الجماعة، وقد هاجرت تلك

الأسر لأسباب فُصلت في كتب التاريخ.

ومن تلك المنطقة خرجت أسرة الرومي مهاجرة إلى قطر مع الأسر التي ذكرناها آنفا، فاستقرت في مدينة الزبارة التي تق ع على ساحل قطر الغربي قرب البحرين، وكانت قطر آنذاك تحت سيادة بني خالد ويحكمها من قبلهم آل مسلم.

وَبعَد مدة غير معروفة خرجت من قطر، واستقرت مع أسرة الصباح وآل خليفة وعدد من الأسر الأخرى في «الصبية» بالجهة الشمالية الشرقية من الكويت، ثم غادروها إلى جزيرة فيلكا التي استقروا فيها مدة من الزمن، ثم غادروها إلى أرض الكويت بعد الإذن من ابن عريعر، ويقال إنه وهبهم الكوت، وكانوا مجموعة من العشائر والأسر

استقرت في ذلك الكوت (الكويت) واختارت فيما بعد صباح الأول أميرا لها ما بين سنة 1110 وسنة 1130ه على وجه التقريب.

مسجد بشر الرومي في منطقة شرق

أسرة الرومي

أسرة الرومي من الأسر الكويتية المعروفة، التي لها سابق أفضال حميدة وخصال مجيدة، فقد عاشت في الكويت وعاصرت جميع الأحداث التي مرت عليها منذ نشأتها، وتنوعت مجالات بذلها وعطائها فكان لها مواقف مشهودة في تاريخ البلاد، ومن ذلك:

– شارك أبناؤها بأرواحهم وأموالهم في المواقع والأحداث التي شهدتها الكويت، وأبلوا في ذلك بلاءً حسنا، وأظهروا شجاعة نادرة وقدموا تضحيات مجيدة، بذلوا فيها أرواحه م رخيصة في سبيل الدفاع عن بلادهم وعزتها وكرامتها، وحظي بعضهم بوسام الشهادة الذي هو أرفع وسام.

– قامت هذه الأسرة ببناء جزء من سور الكويت القريب من محلتهم، بأموالهم الخاصة، ولم يكتفوا بتحمل جهد البناء فحسب، بل تكفلوا بإطعام أهل المحلة الذين قاموا ببناء السور معهم.

– اتصفت أسرة الرومي بحسن الأخلاق، وطيب المعشر، وكانوا من أصحاب آل دواوين الكويتية المعروفة، وخاصة دواوينهم بالشرق، سواء ديوان شملان الحالي أو ديوان بشر الرومي سابقا .

– عناية أسرة الرومي الخاصة بالعلم وأهله، ويشهد لهم بذلك تبرعهم للمدرسة المباركية، وإنشاؤهم مدرسة السعادة، وزيارات العلماء المتكررة لهم، وإقامتهم عندهم، ومنهم آل شيخ عبد العزيز العلجي، وآل شيخ عبد الرحمن (سلطان العلماء شيخ فارس)، وعبد العزيز الثعالبي، ونجم آل دين الهندي، وآل شيخ يوسف بن إبراهيم آل الشيخ مبارك.

أسرة الرومي .. ارتباط بالبحر ووفاء له:

وتمثل الارتباط الوثيق لهذه العائلة بالبحر في عدة مظاهر منها:

أولا: امتلاكها أسطولاً كبيرا يضم شتى أنواع السفن الشراعية المستخدمة في الغوص على اللؤلؤ.

ثانيا: تميز عدد كبير من أبنائها العاملين في مجال «التنوخذ» (قيادة السفن)، حيث بلغ عدد نواخذة الغوص – الذين نعرفهم – من هذه العائلة أحد عشر نوخذة.

ثالثًا: بروز عدد كبير من الطواشين (تجار اللؤلؤ – الطواويش) من هذه الأسرة،حيث بلغ عدد – الذين نعرفهم – منهم ستة عشر طواشا.

رابعاً: انحصار إمارة الغوص – بعد وفاة ابن تمام ومن بعده ابن مهنا – في أسرة الرومي.

فقد تولى الإمارة يوسف بن أحمد الرومي، وبعد وفاته تولاها محمد بن بشر الرومي، ثم راشد بن أحمد الرومي آخر أمراء الغوص، الذي يُضرب به المثل في معرفته بالبحر وقيعانه ومجاريه، وظلت الإمارة في حوزته حتى انتهاء مهنة الغوص وكساد تجارة اللؤلؤ بعد اكتشاف اللؤلؤ الصناعي في اليابان.

ولم تتولّ أسرة من أسر الكويت إمارة الغوص – بعد يوسف بن أحمد الرومي – سوى أسرته، ويؤكد ذلك التميز آل شيخ يوسف بن عيسى القناعي بقوله:

«وقُوّاد الغوص (أمراء الغوص) هم الذين بيدهم الحل والترحال والقفال.

وأول قائد عُرف بالكويت ه و ابن تمام، ثم بعده ابن مهنا، ثم أحمد بن يوسف الرومي، وبعده استمرت القيادة (إمارة الغوص) في هذا البيت إلى يومناهذا».

خامسا: تخليد الفولكلور الكويتي لثلاثة من أبرز رجالات صناعة الغوص على اللؤلؤ من عائلة الرومي، ومن أشهر الطواويش في الكويت، وهم المرحوم راشد بن أحمد الرومي – آخر أمير للغوص، والمرحوم حسين بن علي آل سيف الرومي، والمرحوم شملان بن علي آل سيف الرومي، إذ تقول الأهزوجة الكويتية

في بعض أبياتها: «يا اللومي ... هات بن رومي ... يا اليوهرة (أي الجوهرة) ... يبي (أي احضري) حسين من بحره ... ياالدانة (أي اللؤلؤة) ... جري شملان من أذانه».

رحلته مع العلم

كان الكُتّاب هو المحطة الأولى التي تزود منها الشاب بشر الرومي بخير زاد، فتعلم بين أروقته تلاوة القرآن الكريم، وتلقى مبادئ القراءة والكتابة، وكان ذلك هو الحد الأدنى من التعليم آنذاك. وما كان هذا ليرضي طموح بشر الوثاب، وتعطشه لطلب العلم النافع ومجالسة العلماء، فاتصل ببعضهم واقترب منهم، وتزود مما عندهم من العلم.

زواجه

تزوج المحسن بشر الرومي من نفس أسرته وهي بنت علي بن سيف الرومي، –ولحرصه – رحمها الله على أن يكون بينه وبين أهل العلم نسب، تزوج من السيدة، منيرة إبراهيم الغانم حفيدة العالم الجليل السيد عبد الجليل الطبطبائى، متمنياً من الله أن يرزقه الذرية الصالحة التي تقر بها عينه وتسعد بها نفسه، وقد حقق الله له ما تمنى ورزقه ذرية طيبة مباركة.

مظاهر حب المحسن بشر الرومي للعلم وأهله:

– صداقته الحميمة للشيخ أحمد بن محمد الفارسي – شيخ الكويت آنذاك – فكانت بينهما روابط حميمة وتزاور وتشاور وتواصل، ولفرط حبه له اشترى مزرعة في قرية –الفنطاس بالقرب من مزرعة الشيخ الفارسي – ليسكنها في فصل الربيع، ويتعلم من صديقه العالم الجليل .

– نزول الكثير من العلماء – الذين كانوا يزورون الكويت بكثرة في ذلك الوقت – ضيوفاً عليه وعلى أسرته الكريمة، ومنهم: الشيخ عبد الرحمن (سلطان العلماء وشيخ فارس في وقته)، وآل شيخ العلامة عبد العزيز بن صالح العلجي، الذي كان يزور الكويت مرة كل عام .

– حرص بشر الرومي على تلقي العلم من ذلك الأخير، ولم يشأ أن تقتصر الاستفادة من هذا آل شيخ العلامة عليه هو فحَسب، بل حرص على تعليم بعض أولاده وأبناء عائلته الفقه علَى مذهب الإمام مالك – رحمه الله على يدي آل شيخ عبد العزيز بن صالح العلجي .

– بادل الشيخ العلجي بشر الرومي وعائلته حباً بحب ووفاءً بوفاء لما لمسه فيهم من صفات حميدة تنم عن حسن الخلق، فقد بلغ حب آل شيخ العلجي لبشر وأبنائه وآل بيته درجة كبيرة، حتى إنه انقطع عن زيارة الكويت بعد موت صديقه بشر – رحمه الله– حرصه على مجالسة العلماء الأفاضل وزيارتهم في دواوينهم، ومنها ديوان الملا حسين التركيت، الذي كان يواظب على حضور مجلسه عصر كل يوم جمعة.

زهده

كثيرا ما تغر الدنيا أهلها، مع أن الله تعالى حذر عباده منها، وقد كان المحسن بشر الرومي – رحمه الله – زاهدا في الدنيا وزخرفها وزينتها،

حتى إنه ابتعد عن مهنة الغوص ومشاغلها ومشاكلها، وتفرغ لأمور الآخرة، وقد لاحظ عامة الناس هذا السلوك واضحا عليه، فنطقت أهازيجهم بمدحه، وطربت ألسنتهم بالثناء عليه، ومما قالوا فيه:

بشر ما فيه عذاريب كل العرب عارفينه
بشر عباد المسجد أبو صلاة طويلة

وقد لازمته صفة الزهد هذه طوال حياته، فكان كالشجرة الخضراء الوارفة الظلال التي تنشر ظلها على من حولها.

–كان رحمه الله – حريصاً على الإحسان إلى الناس وعدم الإساءة إليهم أو إيذائهم، ولم يكن – رحمه الله – يتجنب أذى الناس تكلفاً ولا تصنعاً، وإنما كان ذلك منطلقاً من فطرة سليمة نقية، ونفس طيبة رضية، أملت عليه حب النفع للناس والبعد عن الأذى وبُغض من يفعله.